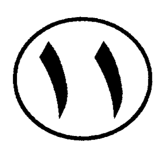
قصص الأنبياء للأطفال



شُعَيْبٌ

(عَلَيْهِ السَّلامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع

الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال
(شعيب) عليه السلام
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقــوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس - القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس - ت: ٧٩٦٤٤٠٤

انتصَبَ سُوقُ مَدْيَنَ ، وتوافدَ الناسُ عَلَى تلكَ المدينة الواقعة فِي أطرَافِ الشامِ واشتدَّ الزحَامُ وتعالَتْ صَيْحَاتُ التجَار بالنداءِ عَلَى بضائعِهِمْ.

اقتربَ أعرابِيٌّ مِنْ تاجرِ غلالٍ وَوَضَعَ أمَامَهُ جوالاً من القمْح وأرادَ بيعَهُ.

حملَ التاجرُ جوَالَ القَمْحِ واستغْرَقَ فِي وَزْنِه ثُم صَاحَ : قمحُكَ يَزِنُ سَبْعِين مِكْيَالاً.

صَاحَ الأعرابِيُّ بذُهُولٍ : سبعُونَ مِكْيالاً.. إنَّه لا يَقِلُّ عنْ مائة مِكْيَالٍ ، فقَدْ وزنتُهُ قَبْلَ قُدُومِي مَدْيَنَ.

صَاحَ التاجرُ غَاضِبًا : أتتهمُنِي بالكَذِبِ والغِشِّ؟

تراجَعَ الأعرابِيُّ خُطْوَةً إلَى الوَرَاءِ وقَالَ: العَفْوُ ياسيدي ... أمرُنَا لله.. رضينَا بمَا قُلْتَ.

قَالَ التاجرُ : لا تُكْثِرِ الكَلامَ ... ماذَا تُرِيدُ بَدلاً مِنَ القَمْحِ ؟

قَالَ الأعرابِيُّ : أَعْطِنِي أُرْزًا.

حَمَلَ التاجِرُ جوَالَ أُرْزٍ وَوَزَنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَا هُوَ الأُرْزُ... سَبْعونَ مِكْيَالاً.

حَمَلَ الأعرابىّ جوالَ الأرْز ، ثُم صَاحَ : حَرامٌ عَليْك يا رجَلُ . . الأرزُ لا يزيدُ وزنُهُ عنْ خمسينَ مكْيَالاً .

صرخَ التاجرُ غاضبًا : أتشُكُّ فى ميزانى مرةً أُخْرَى ؟

قَالَ الأعرابىُّ : أنْتَ تبخَسُ بضَاعَتى وتدَّعى وَزْنًا أقلَّ منْ وزنهَا ، ثُم تريدُنى أنْ أبيعَهَا لَكَ . . لاَ لنْ أبيعَ ولَنْ أشترى . . سلاَمٌ .

أمْسَكَ التاجرُ بملابسِ الإعرابىِّ ، وصاحَ : أتسُبُّنى وتتهمُنى بالغشِّ ، وتريدُ أنْ تمضىَ بسَلاَمٍ .

صَرَخَ الأعرابىُّ : أغيثُونى يا رجَالُ .

وتجمَّعَ تجارُ مَدْيَنَ منْ أنْحَاءِ السُّوقِ حَوْلَ الرجُلَيْنِ ، وحَاوَلاَ أنْ يَفُكَّا شجَارَهُمَا .

صَاحَ التاجرُ : ذلكَ الرجلُ أرادَ بَيْعَ بضَاعَته لى ، وَحينَ وزنْتُهَا وعرضْتُ علَيْه ثَمَنَهَا ، سَبَّنى واتهمَنى بالغشِّ .

صَاحَ التَّجَّارُ : أتتهمُ زميلَنَا بالغش ونَحْنُ نضربُ به المَثَلَ فى الأمَانَة وحُسْنِ الخُلُق .

نَظَرَ الأعرابىُّ إلى التُّجَّار بذُهُولٍ ، وكأنَّهُ لاَ يُصَدِّقُ مَا سَمعَهُ .

قالَ التُّجَّارُ : أنْتَ سَبَبْتَ صَاحبَنَا وأَهَنْتَهُ وأضَعْتَ وقْتَهُ وجَهْدَهُ ، لذَلكَ حَكَمْنَا عليْكَ بدَفْع غَرَامَةٍ لَهُ تَعْويضًا عَنْ إيذائه .

صَرَخَ الأَعرابيُّ : لكنَّنى لَمْ أَبعْ شَيْئًا .

قالَ التُّجَّارُ : هَات قَمْحَكَ كَيْ نَبيعَهُ ونَدْفَعَ الغَرامَةَ .

فتحَ الأعرابيُّ فَمَهُ ليعْترضَ على ذلكَ الظَّلم الفظيع ، لكنَهُ خَشيَ أنْ يتعرَّضَ للإيذاء فتركَ قَمْحَهُ وانطَلقَ يُسابقُ الرِّيحَ هربًا منَ التُّجَّارِ اللِّئَام ، وأقْسَمَ ألا يطَأَ أرْضَ مَدْيَنَ مرةً أُخْرَى .

وهَكَذا عَاشَ أهْلُ مَدْيَنَ عَلَى السَّلْب والنَّهْب ، فَكَانُوا يَبيعُونَ البضَاعَةَ نَاقصَةَ الوَزْنَ ، ويَخْدَعُونَ المشْتَرى دُونَ أنْ يدْرِى ، وإِذَا اشْتَرَوا بضَاعَةً أنْقَصُوا فى وَزْنهَا وظَنُّوا أنَّ ذلكَ مهارةٌ وشَطَارَةٌ لزِيَادَة الرِّبْحِ وَفَنٌّ منْ فُنُون البَيعِ والشراء يفتخرُونَ به عَلَى غيرهمْ بكَثْرة ربحهِمْ وبراعَتِهِمْ فِى الاحْتِيَال .

وَصَارُوا يقطَعُونَ الطَّريقَ عَلَى المسَافرينَ وينهَبُونَ أمْوَالَهُمْ ويعَتدُونَ علَيْهِمْ .

وكَانَ لهؤُلاَءِ القَوْمِ وَاحَةٌ خَضْرَاءُ مليئَةٌ بالثِّمَارِ والفَواكه والأشجَارِ الضَّخْمَة الملْتَفَّة .

أطْلَقَ أهْلُ مَدْيَنَ عَلَى تلْكَ الوَاحَة أيْكَةً ، وأخَذُوا يفتخرُونَ بهَا ويطُوفُونَ حَولَهَا مُتَعجِّبينَ منْ ضَخَامَة أشْجَارهَا ورَوْعَة أزْهَارهَا ، وكَانَ بعضُهُمْ يَقْضى أيَامًا أمَامَهَا فى تأمّل وانبهَار .

ووَسْـوَسَ الشـيطَـانُ للقَوْمِ ، وزَعَمَ لَهُـمْ أنَّ تلْكَ الأيْكَةَ أعظَـمُ شَـيءٍ فِي الوُجُودِ ومُعْجِزَةٌ باهِرَةٌ تسـتحِقُّ العِبَادَةَ والتقديـس.

عَكَفَ أهْلُ مَدْيَنَ عَلَى الأيْكَة فِي اهتمَامٍ شَديدٍ ، وانتـهَى الأمرُ بأنْ عبدُوهَا وقدَّمُوا إلَيْهَا القرَابينَ واعتَقَدُوا أنهَا تنفَعُ وتضُرّ.

وكانَ يعِيـشُ فِي مَدْيَنَ رَجُلٌ مؤْمِنٌ يعبُـدُ اللهَ وحْـدَهُ لا شَـريكَ لَـهُ اسْـمُـهُ شُـعَيْبٌ ، أوْحَى اللهُ تعالَى إلَى شُعَيْبٍ ووَهَبَـهُ الحكْمَـةَ والنُّبُـوَّةَ وكَلفَهُ بدَعْوَةِ قومِـهِ إلَى عـبَادَةِ ربِّهِمُ الخـالقِ وتَرْكِ عـبَادَةِ الأيْكَةِ ، ونهيهِمْ عَنِ الغِشِّ فِي الميزَانِ وقَطْعِ الطريقِ.

* * *

انطلَقَ شُعَيْبٌ عليـهِ السلامُ إلَى قـومـه ، فـرآهُمْ جَالسِـينَ فِي خُـشُـوعٍ أمَـامَ الأيْكَةِ يُسبِّـحُـونَهَـا ويقـدِّمُـونَ إلَيْـهَـا القـرَابـينَ ويدعُـونَهَا فِي توَسُّلٍ ورَجَاءٍ.

اقترَبَ شُعَيْبٌ مِنْ أهلِ مَدْيَنَ ودعَاهُمْ بالرِّفْقِ واللِّينِ:

﴿ **يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [هود: الآية ٨٤]

.. اللهُ الذِي خلقَكُمْ ورزَقَكُمْ بالأولَادِ والأمْـوالِ ، فـازْدَادَ عَدَدُكُمْ بَعْدَ أنْ كُنْتُمْ قِلَّةً وأصبَحْتُمْ أثْرِيَـاءَ بعدَ أنْ كنتُمْ فُقَرَاءَ... اللهُ الذِي رَزَقكُمْ بالأمْطَارِ الغزيرَةِ فأصْبَحَتْ أرضُكُمْ واحَةً خضـراءَ

وجنةً فيحاءَ بعدَ أنْ كانَتْ صحْراءَ مُجْدبةً وأرضًا مُقْفرة... اللهُ الذى خلقَ لَكُمُ السَّمْعَ والبَصرَ والأفئدةَ ووهبكُم عُقولا تفكرون بها وأقدامًا تسيرُونَ عليْها وأيادىَ تعملُون بها وألسنةً تتخاطبُون بها.

كيفَ تترُكُونَ خالقَكُمْ وتعبُدُونَ أيْكةً زرعَتْها أيدى البشرِ وسَقاها اللهُ بالمَطرِ وأمرَها أنْ تُمدَّكُمْ بالظلِ والثمرِ.. كيفَ تعتقدُونَ أنهَا تنفعُ وتضُرُّ وتشْفى، وهىَ مخلُوقٌ لا قُدرةَ لهُ ولا إرادةَ، وقدْ سَخَّرَهَا اللهُ لَكُمْ وذَلَّلها لخدْمتكُمْ.

أخذَ النبىُّ يُذَكِّرُ قومَهُ بأنْعُمِ اللهِ منْ حدائقَ مثمرةٍ وسماءٍ مرفوعَةٍ بلاَ أعمدَةٍ وأنعامٍ مُسَخَّرةٍ، ونَهى شعيْبٌ قومهُ عنْ قطعِ الطريقِ وسرِقةِ القَوافلِ والغشِّ فى الميزَانِ، وبَيَّنَ لهُمْ أنَّ ما يُسَمُّونَهُ مهارَةً فى التجارَةِ هُوَ فى الحقيقةِ سَرقةٌ وغشٌ وأخبرَهُمْ أنَّ الأمْوَالَ التى يكْسبُونهَا حَرَامٌ ونَصَحهُمْ أنْ يرضَوا برزقِ اللهِ الحلالِ الخالى منَ الغشِّ والتطفيفِ وأكْلِ حُقوقِ الناسِ.

صَاحَ أحَدُ التُّجَّارِ: لكنَّنا يا شُعَيْبُ نكْسبُ أموالنا بمهارتنا وخبرَتنَا الطويلَةِ فى التجارَةِ.

قَالَ شُعَيْبٌ: الغشُّ فى الميزَانِ ليْسَ مهارةً، وإنمَّا سرقةٌ حرَمها

اللهُ لأنكُمْ تخدَعُونَ المشْترِى وَتأكُلُونَ حقَّهُ.. ارْضَوا برزق الله فإنَّهُ يباركُ فِى المالِ الحَلال.

﴿ **أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** ﴾ [هود: الآيات ٨٥ - ٨٦]

واللهُ أعدَّ للمؤمنينَ جناتِ عَدْنٍ تجرى منْ تحتهَا الأنهارُ، وفيها مَا تَشْتهِى الأنْفُسُ مِنَ العزِّ والنعيمِ والطعَامِ والشرَابِ والأرائك وحُورِ العينِ اللاتِى منحهُنَّ اللهُ جمَالاً لاَ نَظيرَ لهُ.

غَضِبَ القَوْمُ منْ شعَيْبٍ عليه السلامُ، وسَخِرُوا منْ كلامه وقالوُا: ﴿ **يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾ [هود: الآية ٨٧]

كُنَّا نُحبُّكَ يَا شُعَيْبُ وَنَظُنُّ أنَكَ رجُلٌ صَالحٌ، لكنَكَ أغضبْتنا لأنكَ سبَبْتَ آلهتَنَا واتهمْتَنَا بالانْحِرَافِ والضَّلالِ.

قالَ شُعَيْبٌ فِى رفْقٍ: يا قومِ لا أبغِى سوَى إصْلاَحكُمْ وهدَايتكُمْ فَقَدْ أرسَلَنِى اللهُ إليْكُمْ ورزَقَنِى النبوَّةَ، وأمرَنِى أنْ أدعُوكُمْ إلى عبادَته وأنهاكُمْ عَمَّا يغضبُهُ، ومَا توفيقِى إلا باللهِ عليْه أتوكَلُ فى سائر أمورى، وإليه مرجعى ومصيرى.

آمنَ قليلٌ منْ أهْل مدْيَن بشُعَيْب عليه السلامُ ، وفارقوا الأيكة ولجئوا إلَى ربهمْ تائبينَ نادمينَ ، بينَما ظلَّ باقي القوم على عنادهم وكُفْرهمْ .

* * *

مَكَثَ شُعَيْبٌ عَلَيْه السَّلامُ يدْعُو قومَهُ في رفْقٍ ولينٍ دُون يأس رَغْبَةً في إيمانهمْ ، وحينَ رأى آذانًا صَمَّاءَ وعيُونًا عمْياءَ وعقُولاً جَوْفاءَ لجأَ إلَى ترهيب القَوْمِ وتخْويفهمْ منْ عذاب الله حتَى تهتز قُلوبُهُمْ فيُبادرُوا إلَى ربهمْ بالتوبَة والإيمان .

أخبرَ النبيُّ أهْلَ مدْيَنَ بنبأ قَومِ نُوحٍ الذينَ عَبدُوا الأصْنامَ الخَمْسَةَ وكَيْفَ عَانَدُوا نبيَّهُمُ الذى مَكَثَ في دعْوتهمْ أكثَرَ منْ تسْعمَائَة عَامٍ وكَفرُوا بالله واتَّهمُوهُ بالكَذب والجُنُون وسَخرُوا منْهُ ، فأغْرَقَهُمُ اللهُ في الطُّوفان وطَهَّرَ الأرْضَ منهُمْ ونَجَّى نُوحًا والمؤمنينَ في الفُلْك المشْحُون .

وأخْبَرَهُم بخَبَر قوم هُودٍ الجبَّارينَ عَبدَة الأصْنَام الذين كَذَّبُوا نَبيَّهُمْ وتمرَّدُوا عَلَيْه واتهمُوه بالكَذب وكفرُوا بربهمْ فعَبدُوا أحْجَارًا لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ .

وكَيْفَ عَانَدَ القَوْمُ هُودًا عليه السَّلامُ وآذوْهُ ، فمنعَ اللهُ عنْهُم

الأمطارَ وكـادُوا يَهْلكُونَ مِنَ العطَشِ ، وأرسَلَ عليـهمْ ريحًـا عـاتيـةً عَـصَـفَـتْ بهِمْ ثمـانيَـةَ أيـامٍ كـاملَةً ، فـدمَّـرَتْ بيـوتَهُمْ وأهلكَـتْـهُمْ وترَكَـتْـهُمْ كَـجُـذُوعِ النَّخْلِ الخـاوِيَـةِ ، ونَـجَّى اللهُ تـعَـالَى هـودًا والمـؤْمنينَ .

وقوْمُ صـالحٍ الذينَ عَـمَرُوا الأرضَ بعدَ قومِ هُودٍ وأنعمَ اللهُ عليـهم بالعـزِّ والنعيـمِ ، فَبَنَوُا القُـصُورَ وشَـيَّدُوا الحدَائقَ ، لكنَّهُم كـفَرُوا بربِّهِمْ وعَانَدُوا نبيَّهُمْ صَالحًا ، وقالُوا : ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾

[الشعراء الآية : ١٨٥]

وكَـيْفَ تَحدَّوهُ وطلَبُوا منْهُ إخْرَاجَ نَاقةٍ مِنْ قَلْبِ صَـخْرَةٍ ضَـخْمَةٍ ووَصَفُوا لهُ الناقَةَ المطلوبةَ .

وكـيفَ لجَأَ صَـالحٌ عَلَيْـهِ السَّـلامُ إلَى ربِّـهِ بالدعَـاءِ ، فأمَـرَ اللهُ تعـالَى الصـخْرَةَ فـانشَـقَّتْ عَنِ الناقَـةِ المطلوبـةِ ، لَكنَّ القَـومَ تمرَّدُوا وقَتَـلُوا النـاقَـةَ وسَـخِرُوا مِنْ صَـالحٍ وطَالبُـوهُ بإنْـزَالِ العـذَابِ فسَـلَّطَ اللهُ عليـهِمُ العقَـابَ بَعْدَ ثلاثـةِ أيَّامٍ مِنْ قَتْلِ النـاقَـةِ ، فـأصـبَـحُوا وقـدِ اصفَـرَّتْ وجُوهُهُمْ .

وفِي اليـومِ التَّـالِي احْـمَـرَّتْ وجُـوهُهُـمْ ، واسـوَدَّتْ فِي اليـومِ الثَّـالثِ ، وفِي صَـبِيـحَـةِ اليـومِ الـرابعِ أخـذَتْـهُمْ صَـيْـحَـةٌ مِن السـمَـاءِ

وتزلزلت بهم الأرض فهلكوا جميعًا ، ونجى الله تعالى صالحا والمؤمنين.

وقوم لوط الذين كذَّبوا نبيَّهم وآذوه وحاولوا طرده وأهله من قريتهم لأنهم أناس يتطهَّرون ، فدمَّر الله قريتهم وجعل عاليها سافلها ونجَّى لوطًا والمؤمنين.

وختم شعيب عليه السلام وعظه قائلا : آمنوا بربكم وتوبوا إليه قبل أن يصيبكم ما أصاب الأمم السابقة ، فإن عذاب الله شديد.. وارجعوا إلى ربكم فإنه أعدَّ للكافرين نيران الجحيم التي تشوى وجوههم وجلودهم ، وشرابهم الماء المغلى وطعامهم الأشواك المرَّة ، ولا منقذ من عذاب الله.

غضب القوم من شعيب عليه السلام وادعوا عدم فهمهم لكلامه وصاحوا في عناد : ﴿ **يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾

[هود : الآية ٩١]

اشتد حزن النبي وتعجُّبه ، لأن قومه خافوا من قبيلته ولم يخافوا من الله ، صرخ شعيب في وجه قومه : أتخافون من قبيلتي

ولا تخافون من ربكم؟! أقبيلتي أعز عليكم من الله وهو خالقكم ورازقكم ويعلم ما تبدون وما تكتمون؟!... ﴿ **ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب** ﴾ [هود: الآية ٩٣]

سخر كفار مدين من تهديد نبيهم شعيب، وشنوا حربا قاسية على المؤمنين وانهالوا عليهم سبا وضربا حتى يرجعوا عن دينهم، لكنهم ازدادوا تمسكا بدينهم والتفوا حول نبي الله شعيب.

خشي الكفار أن يزداد عدد المؤمنين فتقوى جبهتهم ويشتد ساعدهم، فضاعفوا من العذاب الأليم وصبوا غضبهم على رءوسهم ونهبوا أموالهم وأراضيهم.

وأسرع الكفار إلى شعيب وهددوه قائلين:

﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا** ﴾ [الأعراف: الآية ٨٨]

رد إلينا من آمن بك يا شعيب.

صاح النبي: تريدون أن يفارق المؤمنون دينهم ويعودوا إلى

الكُفْـرِ والفُـسُـوقِ بَعْـدَ أنْ هَـدَاهُـمْ رَبهُـمْ وأنْقَـذهُـمْ مـن الضَـلال وطهَـرهُـمْ مِنَ الذنُوب وأذاقَـهُـمْ حـلاوَةَ الإيمـان . . أيتْـرُكُ أصْـحـابـى جنَاتِ النَعيمِ التى وَعَـدهُـمُ اللهُ بهَـا ويُبَادروا إلى نيـرانِ الجحيـم؟ ! . . ثقُوا أنَّ أصْحَابى لَنْ يَعُودُوا إلَيْكُمْ ، إلاَّ إذَا أُكْرهُوا علَى ذَلكَ .

صَـاحَ الكُفَّـارُ فِى وَجْـهِ المؤمنيـنَ : لَنْ تُفْلِتُـوا مِنْ أيْدينَا مَـا لَمْ تَتْرُكُوا دِينَ شُعَيْبٍ . . ﴿ **لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ** ﴾

[الأعراف : الآية ٩٠]

قالَ المؤمِنُون فِى ثقَةٍ ويَقِينٍ : لَنْ نَتْرُكَ دِينَنَا أبدًا مَهْمَا فَعَلْتُمْ بِنَا .

لجَأَ شُـعَـيْـبٌ إلَى رَبِّهِ وَدَعَـاهُ قَـائلاً : ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [الأعراف : الآية ٨٩]

صَاحَ القَوْمُ فِى تَحَدٍّ وغُرُورٍ : تَدَّعى يَا شُعَيْبُ أنَكَ نَبىٌّ . . .

﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [الشعراء :الآيات ١٨٥ ـ ١٨٦]

وَبَلغَ تَحَـدِّى أَهْلِ مَـدْيَـنَ ذروتَهُ فَطَلَبُـوا مِنْ شُـعَـيْبٍ أنْ يُـنزلَ عليهِمْ نَاراً مِنَ السـمَاءِ ، وقَالُوا لَهُ سَاخِرِينَ :

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

[الشعراء : الآية ١٨٧]

ووَقَعَ كَلامُ القَوْمِ عَلَى شُعَيْبٍ كَالصَّاعِقَةِ ، فَلَجَأَ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِراً وَدَعَا عَلَى قَوْمِهِ.

* * *

اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَ نَبِيِّهِ شُعَيْب ، فَسَلَّطَ الْحَرَّ الشَّدِيد عَلَى كُفَّارِ مَدْيَنَ وَمَنَعَ هُبُوبَ الرِّيَاحِ.

واشْتَدتْ حَرَارَةُ الجَوِّ وَأَخَذَتْ ترتفعُ وترتفعُ حَتَّى أصبحَتْ كاللهيبِ وبدَتِ الشَّمْسُ وكأنَّهَا تُرسلُ ألسِنَةً منَ النِّيرانِ المحْرِقَةِ فانهَمرَ العرَقُ غزيراً منْ أجْسَامِ القَومِ وفَاحَتْ منْهَا رائِحَةٌ كريهَةٌ.

أسرَعَ القومُ نَحْوَ الأيْكَةِ يتَسَابَقُونَ فِى زِحَامٍ رهيبٍ وارْتَمَوْا تَحْتَ ظِلاَلِ أشْجَارِهَا وطَمِعُوا فِى نَسِيمِهَا العَلِيلِ ، لكنَّهُمْ وَجَدوا حراً شَديداً وَجواً جافًا مُلْتَهِباً.

وَقَفَ القومُ تَحْتَ أغْصَانِ الأيْكَةِ الملتفَّةِ ، ورفَعُوا أيديهُمْ بالدُّعَاءِ ، وَتَوَسَّلوُا إِلَيْهَا أَنْ تَرْفَعَ الحَرَّ وتُبدِّلَهُ بِظِلٍّ ظَلِيلٍ وَنسيمٍ

عليل وانهمروا في البكاء وبحثوا عن وسيلة تخفف الحر فلم يجدوا .

أصاب القوم ظمأ شديد ، وجفت حلوقهم وتشققت ألسنتهم من شدة العطش فانهالوا على أوعية الشراب وعيون المياه وشربوا ما فيها ، وأغلق بعضهم بيوتهم على أنفسهم بينما غادر آخرون دورهم ، والتي أصبحت كالأفران المشتعلة ، وانطلقوا يجرون في شوارع المدينة بحثًا عن نسمة هواء أو جرعة ماء ، وأصابهم إعياء شديد وأحسوا كأن دماءهم تغلي من شدة الحر وانتابهم سأم شديد .

أحس القوم كأن أرجلهم لا تقدر على حملهم واختنقت أنفاسهم والتهبت جلودهم ، وكادت الحرارة تشوي أجسامهم .

استمرت موجة الحر المحرقة في مدين سبعة أيام دون أن يتخللها نسمة هواء تهدئ من قسوة الجو الخانق .

وفي اليوم الثامن ، أقبلت سحابة كبيرة فهلل القوم وظنوا أن آلهتهم استجابت دعاءهم وأرسلت إليهم تلك السحابة كي تقيهم من الحر .

هرع الكفار نحو السحابة ، وحين اكتمل عددهم تساقط

مِنْهَا نِيرَانٌ فوقَهُمْ ورجَفَتْ بِهِمُ الأرْضُ فَتزَلْزَلَتْ وعَلَتْ صَيْحَةٌ مِنَ السمَاءِ فأزْهَقتْ أرواحَهُمْ وأهلكَتْهُمْ وَخَرِبَتْ ديارُهُمْ ونَجَّى اللهُ تعالى نبيَّهُ شُعَيبًا والمؤمنينَ.

نَظَرَ شُعَيْبٌ إِلَى قَوْمِهِ الهَالِكِينَ وخَاطَبَهُمْ:

﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾

[الأعراف: الآية ٩٣]

•••